الفصل الرابع

الإتجاه البنائي الوظيفي (الفعل الاجتماعي).

1 ـ الجذور التاريخيّة للفكر البنائي الوظيفي وتطوره.

2 ـ ماكس ڤيبر: الفعل الاجتماعي والاتجاه الوظيفي.

3 ـ تالكوت بارسونز: نظرية نسق الفعل الاجتماعي.

4 ـ خلاصة ونتائج.

1 ـ الجذور التاريخية
للفكر البنائي الوظيفي وتطوره

ترجع جذور الفكر البنائي الوظيفي إلى الفكر الوضعي، أي منذ بداية القرن التاسع عشر. رغم أن بعض الباحثين يذهبون أكثر من ذلك تاريخياً، حيث يرجعونه إلى أفكار أرسطو وأفلاطون ومن ثم ابن خلدون.

فالمماثلات بين المجتمع والكائنات العضوية قديمة قدم التفكير الاجتماعي. فقد تحدث أفلاطون عن العناصر الثلاثة للمجتمع وهي التفكير أو العقل والشعور أو الروح والشهوة، وكل منها تمثل طبقة اجتماعية خاصة. وقد انتشرت المماثلة العضوية في الفكر السابق على أوجست كونت، وليس غريباً أن تظهر مبكراً في تاريخ علم الاجتماع. فالصورة الرئيسية لهذه المماثلة هي تطور مفهومي «البناء» و«الوظيفة» اللذين ظهرا عند هربرت سبنسر، واستخدمهما دوركهايم. ثم تطورا أساساً في أعمال الأنثروبولوجيين البريطانيين ذوي التوجه الاجتماعي من أمثال مالينوفسكي وراد كليف براون[1].

ويعتقد البعض بأن النظرية الوظيفية تتصل أصلاً بحياة الكائن العضوي وعبر بقاء هذا الكائن وتكيفه لبيئته، حيث تقوم العمليات الفسيولوجية بدور المحافظة على الشروط الضرورية لبقاء الكائن العضوي وملاءمته بالبيئة الفيزيقية. وهذا يعني بأن النظرية الوظيفية تمتد أصولها في التاريخ، باتصالها بماضي الدراسات البيولوجية[2].

---

(1) أليكس إنكلز، مقدمة في علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 106.

(2) د. قباري محمد اسماعيل، قضايا علم الاجتماع المعاصر (القاهرة: منشأة المعارف 1978) ص 62.

إن ظهور الفكر الوظيفي بشكل واضح إنما يرجع إلى الوضعيّة التي ظهرت بنتيجة تناقضات المجتمع الفرنسي في بداية القرن التاسع عشر، وظهور طبقة جديدة، وهي الوسطى، التي تختلف طموحاتها عن طموحات الطبقات الاجتماعيّة الأخرى، حيث تركيزها على العلم والمعرفة كاستجابة لمتطلبات الحياة الصناعيّة الحديثة التي ظهرت في أوربا. وفي مرحلة متأخرة من تاريخ العلم، ظهر الاتجاه البنائي الوظيفي في البداية في أبحاث ودراسات علم الإنسان خاصة المتعلقة بالثقافة أو ما يعرف بعلم الأنثروبولوجيا الثقافية. وهنا عرف الاتجاه بالنزعة أو المدرسة البنائية الوظيفية، حيث تهتم بوصف وتحليل الشكل البنائي. وعلى أية حال «ظهر الاتجاه البنائي الوظيفي كرد فعل أو نقد للاتجاه التطوري الخالص كما عبّرت عنه نظرية داروين في النشوء والارتقاء ونظريات التطور التاريخي والأنثولوجيا البشرية»[1].

وينسب هذا الاتجاه في صورته المعاصرة إلى أعمال روبرت ميرتون وكنجز لي دافيز، حيث التأكيد على ضرورة تفسير وجود الظاهرة الاجتماعيّة من خلال البحث عن وظيفتها أيّ النتائج المترتبة عليها بالنسبة للنسق الاجتماعي الأكبر الذي تمثل جزءاً منه. يقول ميرتون «إن محور اهتمام: البنائية الوظيفية هو تفسير البيانات عن طريق الكشف عن نتائجها بالنسبة للبناءات الكبرى التي تضمّها»[2]، وهذا يعني اعتماد الكل على أجزائه مثلما تعتمد الأجزاء على الكل أيضاً.

وبعبارة أخرى فإن الاتجاهات البنائية تُستخدم لتفسير الدور والوظيفية الاجتماعيّة اللذين تقوم بها ظاهرة معينة أو نظام معيّن في البناء أو النسق أو التنظيم الاجتماعي باعتباره جزءاً منه، فكل نظام في النسق الاجتماعي يرتبط

---

(1) د. علي الحوات، النظرية الاجتماعية، مصدر سابق، ص 94.

(2) د. محمد عاطف غيث، الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1980) ص 113.

مع بقيّة النظم الأخرى[1].

وبشكل عام فإن المنظور الأساسي للاتجاه البنائي الوظيفي هو اهتمامه بالمجتمع والعلاقات المتبادلة بين النظم السائدة فيه، أكثر من الاهتمام بالفرد أو الجماعات مثل الأسرة.

مضامين الفكر البنائي ـ الوظيفي

إذا كان الاتجاه التطوري يهتم بتصنيف المجتمعات وفقاً لمقياس تطوري محدّد، فإن الاتجاه البنائي الوظيفي يتضمن تصوراً محدوداً عن الزمن؛ فهو يوقف حركة النسق عند نقطة زمنيّة محددة لكي يتمكن من فهم كيفيّة قيامه بعملهِ كنسق. إضافة إلى ذلك فإن الاتجاه البنائي الوظيفي يؤكد على كيفية إسهام النظام في المحافظة على استمرار المجتمع من خلال استمرارهِ بإيجاد الأعضاء الجدد، حيث إن الأسرة هي النظام الذي يحقق للمجتمع وظائف التناسل والعناية الأولية بالطفل وتدريبه على الأساليب السائدة في المجتمع[2].

ويمكن إيجاز أبرز مضامين الفكر البنائي ـ الوظيفي بنقاط هي:

1 ـ يتكون البناء الاجتماعي من مجموعة أنظمة مترابطة بعضها ببعض بنائياً ووظيفياً.

2 ـ يتكون النظام من مجموعة أنساق.

3 ـ يتكون النسق من مجموعة أنماط.

4 ـ لكل نظام نسق أو نمط حاجات اجتماعيّة تعكس وظائفه، ومن خلالها

---

(1) د. أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي، مصدر سابق، ص 651.

(2) أليكس إنكلز، مصدر سابق، ص 107 ـ 108.

تحدّد تكامله الاجتماعي.

5 ـ تأكيده على التوازن الاجتماعي.

6 ـ يدرس الكل للوصول إلى الأجزاء[1].

وسنحاول في هذا الفصل إبراز هذه الأفكار وتحليلها من خلال نموذجين هما ماكس ڤيبر وتالكوت بارسونز لدورهما البارز في بلورة الاتجاه البنائي الوظيفي، ومساهماتهما في تعميق وبلورة النظرية الاجتماعيّة المعاصرة.

(1) د. معن خليل عمر، نقد الفكر الاجتماعي، مصدر سابق، ص 152.

2 ـ ماكس ڤيبر
الفعل الاجتماعي والاتجاه الوظيفي

عاش ماكس ڤيبر نفس الظروف التي عاشها مفكرو القرن التاسع عشر، ونعني بها الظروف الاجتماعيّة والبنائية التي ولدتها بنية المجتمع الأوربي أثناء وبعد عمليّة التحول من المجتمع التقليدي إلى المجتمع الحديث. غير أن ظروف ألمانيا السياسيّة كانت أكثر استقراراً من فرنسا وذلك بسبب ما ساد فيها من نزعة قوميّة تزعمها بسمارك وبعض الزعماء الألمان. ولكن ذلك الاستقرار لم يبعدها عن الصراع الدائر بين المذاهب الفكرية الثلاثة: المذهب المحافظ والمذهب الليبرالي والمذهب الراديكالي. ويتفق معظم الباحثين[1] بأن الأجواء الفكرية والعلميّة السائدة في ألمانيا، وانشغال الفكر الألماني بالمسائل الفلسفيّة والتاريخية نتيجة تأثره بهيجل وكانط، لهما دورهما الأساسي في بلورة تفكير ڤيبر البنائية التاريخية، حيث الاعتماد في دراساته على التحليل الكيفي والمقارن، وإهماله أساسيات الفلسفة الوضعيّة (أسبقيّة المجتمع على الفرد، الدور القهري للقيم... الخ)، مما جعله متميزاً عن زملائه من الاتجاه الوضعي أمثال كونت ودوركهايم وكارل ماركس وأفكاره المادية والتاريخيّة.

---

(1) أخذت سيرة ماكس ڤيبر من كتاب النظرية الاجتماعية لجورج ريتزر ص 112 ـ 113. نقلاً عن: د. معن خليل عمر، نظريات معاصرة في علم الاجتماع (عمان: دار الشروق، 1997) ص 159 ـ 160.
وكتاب: محمد عبد الله أبو علي، نقد المنهج عند ماكس ڤيبر (القاهرة: دار المعارف، 1975) ص 168.

ولد ڤيبر (1864 ـ 1920) في مدينة إيرفورت بألمانيا، وينحدر من أسرة تنتمي إلى الطبقة الوسطى في المجتمع الألماني. وكان والده بيروقراطي النزعة والميول، تقلد أكثر من منصب سياسي مرموق، وكان له الفضل في تأسيس بعض الحركات السياسيّة في ألمانيا، لكنه كان مع النظام السياسي القائم في ألمانيا. أما والدته فقد كانت متدينة وناسكة ومتعبّدة في حياتها وملتزمة بتعاليم مذهبها (المذهب اللاهوتي الفرنسي البروتستانتي).

هذه الحالة الأسرية المتزمتة أثرت على حياة ڤيبر الشخصيّة والفكرية إذ خلقت عنده حالة من التوتر بسبب صعوبة الجمع بين النقيضين (تزمت أمه الديني وتزمت والده السياسي).

درس في جامعة هايدلبرج باختصاص القانون، لكنه بعد ثلاثة فصول دراسيّة ترك الجامعة ليخدم في الجيش. ومن ثم عاد إلى برلين ليدرس في جامعتها (برلين)، إذ بقي فيها ثماني سنوات لحين انتهاء دراسته وحصوله على شهادة دكتوراه فلسفة، بعدها اشتغل محامياً ثم عاد في جامعة برلين كمدرس، وكان اهتمامه الأكاديمي يتراوح بين الاقتصاد والتاريخ وعلم الاجتماع. ثم عمل أستاذاً في علم الاقتصاد في جامعة هايدلبرك عام 1896.

وكان ڤيبر خلال هذه الفترة يعاني من انهيارات عصبيّة بسبب تزمته والتزامه الديني. ولم يستطع خلال ثماني سنوات من مرضهِ أن يمارس العمل الذهني ولا قدرة له على النوم. بيد أنه بعد عام 1903 استعاد بعضاً من قدرته الذهنية، وفي عام 1905 استعادها كاملة حيث نشر أفضل كتبه (الأخلاقية البروتستانتية وروح الرأسماليّة) وقد ساهم في تأسيس جمعية علماء الاجتماع الألمان، وأنشأ في منزله شيئاً أشبه بنادٍ فكري كان ملتقى الفلاسفة والمفكرين والنقاد، أمثال جورج زمل وروبرت ميتجل وجورج لوكاس.

ومن أبرز كتبه: نظرية التنظيم الاجتماعي والاقتصادي، المدنية، ومنهجية العلوم الاجتماعيّة، والدين في الهند، والدين في اليابان، علم

الاجتماع الديني، الاقتصاد والمجتمع.

كان ماكس ڤيبر ـ رغم تأثره بعدد من المفكرين ـ له خصوصيته الفكرية. وقد اختلف معهم لكونه لم يفسر المجتمع تفسيراً مادياً مثالياً كما فعل ماركس، أو تفسيراً مثالياً كما فعل سبنسر ودوركهايم، حيث تكمن وحدة التحليل عند ڤيبر في نوع السلوك والفاعل، فركز على الأفعال الاجتماعية الموجهة عقلانياً وعلى فهم الدوافع الاجتماعية. ويحدّد أحد الباحثين العرب الفروقات الفكرية بين ڤيبر مقابل آراء كونت ودوركهايم وماركس بالنقاط الآتية:

1 ـ إختفاء النزعة التطورية كلية في أعمال ماكس ڤيبر، مقارنة بدوركهايم. فقد كان الأول يهتم بإقامة نماذج مثالية لأنماط «الفعل الرشيد، الفعل التي توجهه القيم، الفعل التقليدي، الفعل العاطفي، إستكشاف بناء المجتمع الرأسمالي وما يسود فيهِ من مظاهر للسلوك وما يرتبط بهِ من تنظيمات للسلطة والبيروقراطيّة». بينما كان الثاني يرى بأن المجتمعات ينبثق منها شكل آخر قديم نتيجة حدوث تغيرات بنائية وكمية «التضامن الآلي والتضامن العضوي».

2 ـ ركز ڤيبر على الفهم التأويلي للمعنى الذاتي للأفعال الاجتماعية من أجل الوصول إلى تفسير علمي، حيث يشتمل الفعل الاجتماعي على كل مظاهر السلوك الإنساني، بينما يفصل دوركهايم بين الذات والموضوع فصلاً كاملاً ويعتبر الظواهر أشياء.

3 ـ يرى بضرورة عدم الاستفادة من الأرقام إلا بحدود ضيقة لفهم الواقع فهماً صحيحاً، بينما كان دوركهايم يعتمد على الإحصاءات الجنائية في دراسته عن الانتحار.

4 ـ كان ڤيبر واعياً بالحقيقة التي مؤداها أن العلاقات بين النظم ليست بالضرورة علاقات عليّة. لهذا رفض التفسيرات الحتمية التي جاء بها

علماء الفكر الوضعي.

5 ـ أدرك ڤيبر الفائدة الكبرى للمنهج المادي أو للمادية التاريخيّة كأداة استرشادية خاصة في التحليل الوظيفي. وما رفضه هو ادعاء ماركس بأن هذا المنهج هو الوحيد في العلوم الاجتماعيّة، إلى جانب رفضه للأحادية النظرية التي تذهب إلى أن الاقتصاد يشكل كل بناء المجتمع[1].

6 ـ حاول الربط بين الاتجاه من جهة وبين نظريته المشهورة في «الفعل» أو السلوك الاجتماعي من جهة أخرى، حيث ربط بين فكرة الوظيفة وبين موقف الإنسان السالك في إطار العلاقة بين الكائن العضوي والبيئة. بمعنى أن ڤيبر لم يأخذ بالمنهج العضوي البيولوجي في فهمه للاتجاه الوظيفي وإنما عالج المسألة عن طريق دمج فكرة الوظيفة ودورها في تحديد مواقف الإنسان وسلوكه في بيئة محدّدة بالذات. وهذا يعني الربط بين الوظيفة والموقف أو الوظيفة والدافع[2].

الفعل الاجتماعي عند ڤيبر

يعتبر ڤيبر من علماء الاجتماع البارزين الذين اهتموا بدراسة الفعل الإنساني، وتحديد مجراه وآثاره. فهو من الرواد الأوائل لنظرية «الفعل الاجتماعي والتحليل البنائي والوظيفي» التي أخذت طريقها كمدرسة واضحة المعالم في علم الاجتماع على يد العالم تالكوت بارسونز.

ويعتقد الكثير من الباحثين بأن أعماله تمثل نقلة كبيرة في علم الاجتماع

---

(1) د. أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، مصدر سابق، ص 95 ـ 100.

(2) د. قباري محمد اسماعيل، قضايا علم الاجتماع المعاصر، مصدر سابق ص 63.

من النظرية الوظيفية إلى نظرية الفعل الاجتماعي رغم دراساته للنظم الاجتماعيّة.

فقد قام ڤيبر بصياغة نظرية واضحة أو مخططة للفعل الاجتماعي، بأنه قائم على فكرة أن الفعل أو السلوك يجب أن يكون ذا معنى من الناحية الذاتية. ولكي نفهم سلوك الآخرين يجب أن لا نلاحظ ما يفعلونه فحسب، بل نعرف كذلك المعنى الذي يربطونه بهذه الأفعال.

نماذج الفعل الاجتماعي

وقد ميّز ڤيبر بين أربعة نماذج رئيسية للفعل الاجتماعي[1]:

1 ـ الفعل العقلاني الذي يرتبط بهدف ما مثل القائد الحربي الذي يريد أن يحقق نصراً ما.

2 ـ الفعل العقلاني القيمي الذي يرتبط بقيمة ما، مثال على ذلك ما يقرّره قبطان السفينة من ألاّ يدعها تغرق وحدها بل يغرق معها.

3 ـ الفعل العاطفي، مثل قيام الأم بضرب طفلها عندما يقدم على سلوك غير مرضي. هذه الأفعال هي أفعال وجدانية أو عاطفية وليست أفعالاً عقلانية لأنها ليست موجهة إلى هدف أو مرتبطة بكلمة معينة.

4 ـ الفعل التقليدي، وهو ذلك الفعل الذي تمليه التقاليد والعادات الجمعيّة والمعتقدات التي يتم اكتسابها من خلال عملية التطبيع الاجتماعي. وعلى هذا الأساس، نجد أن ڤيبر يجعل من العلاقات الاجتماعيّة أساساً لعمليات اجتماعيّة ذات صلة بجوهر الوجود النسقي، ومدى كونها علاقات مفتوحة أو مغلقة. كما يرى بأن العلاقات الاجتماعية هي التي

---

(1) عبد الباسط عبد المعطي، إتجاهات نظرية في علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 129.

تحدّد طبيعة الصلة بين النسق الذي تنتمي إليه هذه العلاقات والأفعال التي تشكل أطرافها من ناحية، وبين البيئة المحيطة اجتماعية كانت أو بيئية من ناحية أخرى، بل إن ڤيبر يصل إلى القول بأن طبيعة العلاقة الاجتماعية هي التي تحدّد طبيعة الوجود النسقي وخصائص التفاعل السائد في إطاره. بمعنى أن مفهوم العلاقات الاجتماعية هو جسر العبور من الفعل الاجتماعي إلى الوجود الاجتماعي النسقي، وأن العلاقة الاجتماعية هي العنصر الذي ييسر الانتقال من الأفعال الفردية إلى أنماط السلوك.

نظرية الفعل الاجتماعي

يحدد ڤيبر اتجاهات فكره بالنقاط الآتية:

1 ـ يلعب نسق القيم دوراً محورياً في النظام الاجتماعي الذي لا يوجد فيه نسق اجتماعي شاملاً ومتماسك، بدليل وجود تباين قيم بين فرد وآخر، وبين فرد في ساحة التفاعل الاجتماعي وبين فعل وسلوك رجل الدولة.

2 ـ يؤمن بتعدّد نماذج الفعل؛ لأنه لو كان هناك نموذج واحد للفعل لكان معناه وجود نسق متكامل ومتماسك يعكس الفعل الأحادي خصائصه.

3 ـ تأكيده على أسبقية الوجود الفردي على الوجود النسقي. ومعنى ذلك أن النسق الاجتماعي يعتبر نتاجاً مباشراً للتفاعل الاجتماعي بين الأعضاء المشاركين فيه. فالإنسان الاجتماعي هو خالق المجتمع يعكس فكرة دوركهايم القائلة بأن الإنسان الشخص الفاعل مشتق من المجتمع أساساً.

4 ـ إن نقطة البدء في تفاعل الإنسان مع الموقف أو النظام الاجتماعي عند ڤيبر هي أن الفاعل له طبيعته الإرادية التي توفر له إمكانية الاختيار، حيث

أن الإرادية لها ملامحها وخصائصها الإيجابية المتعددة[1]. فالفعل الاجتماعي هو جوهر النظرية الاجتماعية المعاصرة لماكس ڤيبر، حيث أن الفعل يكون اجتماعياً عندما يكون موجهاً للآخرين، بمعنى ارتباطه بهم. ولا يمكن تفسير الفعل بمعزل عن معناه وأسبابه، وفقدان أحدهما يعني عدم استيعابنا للفعل، ذلك لأن الفعل يتضمن فاعلاً اجتماعياً يفسر ويصرف ويوجه نحو نشاط فعل اجتماعي آخر، حيث ينظر إلى الفاعل لا على أساس أنه يستجيب لمؤثر بعينه وإنما على أنه يبذل جهداً ليتواءم مع نماذج السلوك المثالي المجرد[2]. أما دراسة الفعل الاجتماعي في نظر ماكس ڤيبر فإنها تتم من خلال أداة منهجيّة سماها النموذج المثالي أو الخالص، وهي أداة من أدوات البحث والتحليل، وتستخدم لتحليل ظواهر معينة بالذات، ولتحليل حوادث تاريخيّة واقعة. فالنموذج المثالي - برأي ڤيبر - يقوم بوظيفة تفسيرية عندما تقارنه بالظاهرة أو الحادثة الواقعة فعلاً، بمعنى أن عنصر المقارنة قائم دائماً بين السلوك الفعلي والنموذج المثالي للسلوك[3].

مفهوم الفعل الاجتماعي

يرى ڤيبر بأن علم الاجتماع هو ذلك العلم الذي يحاول القيام بتفسير وفهم السلوك أو الفعل الاجتماعي بقصد التوصل إلى التفسير العلي لسائر

---

(1) د. علي ليلة، النظرية الاجتماعية المعاصرة، الطبعة الثالثة، مصدر سابق، ص 412 - 413.

(2) Weber, Max: The Theory of social and Economic organization, New York, 1969, pp. 102 - 103.

(3) براين تيرنر علم الاجتماع والإسلام، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر (بيروت: دار القلم 1987) ص 9.

الظواهر الاجتماعيّة. أيّ أنه يريد أن يربط الأفعال الاجتماعية برباط العلّة والمعلول، بمعنى معرفة علل الأفعال ومعلولاتها.

وباختصار فإن الفعل عند ڤيبر يأخذ أكثر من صيغة ومفهوم:

1 ـ الفعل الاجتماعي هو «فعل عقلي» وهو سلوك هادف وغير غامض.

2 ـ ليس كل «فعل» هو اجتماعي بالضرورة. فهناك «أفعال لا اجتماعية». بمعنى وجود نوعين من التصادم: تصادم مادي مرتبط بحادث طبيعي، وهو بدون معنى وسلوك «لا معقول أو غامض» على حد تعبير ڤيبر»[1].

3 ـ الفعل الاجتماعي عند ڤيبر ليس عملاً فردياً خاصاً، وإنما هو فعل عام أو جمعي.

4 ـ الفعل الاجتماعي قد يكون داخلياً أو خارجياً أو مفتوحاً أو مغلقاً. فالفعل لا يأخذ معناه في عقول الآخرين إلاّ عندما يرتبط الفعل بنموذج محدد من سلوك وأفعال الأفراد[2].

التنظيم الاجتماعي: السلطة والبيروقراطية

يعتبر التنظيم الاجتماعي، وفقاً لنظرية ڤيبر، هو تقنين للفعل الاجتماعي في شكل مؤسسات يأخذ معناه من سياق التنظيم الاجتماعي العام، حيث ركز على الجانب السياسي للتنظيم، ويعني ذلك السلطة وعناصرها وأنواعها. إضافة إلى خواص النظام الرأسمالي المقترن «بالتنظيم الرشيد للعمل الحر»، وهي تعني الشكل الرئيسي للتنظيم الاجتماعي الذي نطلق عليه البيروقراطيّة.

---

(1) Weber, Max: Basic concepts in Sociology, trans. by H. P. Seche, Peter Owen, London, 1962. p. 33.

(2) Weber, Max: The theory of social op. cit, pp. 112 - 116.

فالسلطة والبيروقراطيّة، برأي ڤيبر، وسائل فعالة للضبط والسيطرة، حيث أن الأولى (السلطة) تلعب دوراً في تنظيم وضبط التفاعل الاجتماعي الذي يشارك فيهِ الفاعل كحيوان اجتماعي ـ سياسي، بينما البيروقراطيّة تقوم بدور هام في ضبط وتنظيم عمليات الإنتاج وتفاعلاته.

السلطة والضبط الاجتماعي

يذهب ڤيبر إلى أن ممارسة السلطة تفترض قبلاً وجود ظرف اجتماعي يتمثل في توجيه قيمي يمنح هذه الممارسة طابعاً شرعياً. ويظهر هذا التوجيه من خلال الجماعة، حينما يضطر الأفراد إلى الامتثال لأوامر شخص آخر، والتكيف معها من خلال عملية ترشيدية أساسها حاجة الأفراد إلى توجيهات الآخرين، مميزاً لنا بين ثلاثة أنواع من الشرعيّة التي تقود إلى ثلاثة أنواع من السلطة هي:

1 ـ السلطة المقامة على شرعيّة مقبولة: وهي السلطة التي تستوجب الطاعة، لأنها نابعة من مصدر شرعي مثل سلطة الأب في الأسرة.

2 ـ السلطة المقامة على التسلط: وهي السلطة التي تستوجب الطاعة، لأنها نابعة من مصدر القوة، واستعمال الردع والعنف.

3 ـ السلطة المقامة على التأثير والإقناع: وهي السلطة التي تستوجب الطاعة لأنها نابعة من الاقتناع بمصدر السلطة.

وتتداخل هذه الأنواع من السلطة؛ فقد تحتاج السلطة الشرعيّة إلى استعمال سلطة الإقناع في موضوع معين، وقد تحتاج إلى استعمال الردع والعنف في أوقات معينة[1].

---

(1) د. علي الحوات، علم اجتماع التنظيم: دراسة أساسيّة (طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1985) ص 60 ـ 61.

واستناداً إلى هذا الفهم، حاول ڤيبر تصنيف وتحديد أنماط السلطة في ضوء التوجيه القيمي العام الذي يسندها، ذلك التوجيه الذي يجد تعبيره المثالي في إيمان الناس بشرعية السلطة. فذهب إلى أن هناك ثلاثة أنماط للسلطة: «هي السلطة الروحية أو الكاريزميّة التي تنهض على أساس القرارات الملهمة للقادة العظماء والمدعمة بقدرات وملكات «سحرية» أو خارقة. والنمط الثاني من السلطة هو السلطة التقليدية التي تستند إلى الاعتقاد الراسخ في سلطة التقاليد، بينما تكون السلطة العقلانية (النمط الثالث) مبنية على أساس الاعتقاد بمشروعية القواعد القانونية، حيث يحق لمن هم في السلطة إصدار الأدوار التي تجد في القانون أساساً لها»[1].

لذلك نجد نظرية ڤيبر في التنظيم تستند أساساً إلى مفهوم «السلطة» الذي قصد بها عموماً احتمال أن يطيع جماعة معينة من الناس الأوامر المحدّدة التي تصدر عن مصدر معين، ولكنه سرعان ما أقام تفرقة بين هذا المفهوم، وبعض المفاهيم الأخرى المرتبطة به مثل «القوة» و«التأثر»، موضحاً أن السلطة تتميز بأن صاحبها لديه الحق في ممارستها، وأن من يخضع لها يرى أن من واجبه طاعتها[2].

البيروقراطية وتنظيم علاقات الإنتاج

أما طبيعة التنظيم البيروقراطي، فقد حلّلها ڤيبر باعتبارها أحد أشكال التنظيم الاجتماعي الرسمي القائم على أساس التدرج التصاعدي سواء كان

---

(1) آلان سوينجوود، تاريخ النظرية في علم الاجتماع، ترجمة د. السيد عبد العاطي السيد (القاهرة: دار المعرفة الجامعيّة 1996) ص 240.

(2) د. السيد الحسيني، النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم، الطبعة الخامسة (القاهرة: دار المعارف 1985) ص 46 ـ 47.

ذلك بالنسبة للمجال الحكومي أو في نطاق الأعمال والنشاطات التي تتخلل المؤسسات العامة والخاصة (كالشركات) أو بعض المؤسسات الاجتماعية. فالمؤسسة البيروقراطية، كما يعتقد ڤيبر، تكون على شكل هرم أو مثلث تتوزع فيه الأدوار الوظيفيّة، حيث تحتل الأدوار قمة المثلث، وتكون قليلة العدد، ولكنها تحتمل مسؤولية اتخاذ القرار وتطوير المؤسسة وتحديد أهدافها وسياستها، لهذا تفوق أهميتها وفاعليتها بقية الأدوار الموجودة في المؤسسة. وهذه الأدوار تتمثل برئيس المشروع أو أعضاء المجلس الإداري أو المدراء العامين.. الخ.

أما الأدوار التي تشغل منتصف أو سفوح الهرم فهي الأدوار الإدارية الروتينية التي تتلقى الأوامر من الأدوار القيادية وتوصلها إلى الأدوار القاعدية أو بالعكس تستلم المعلومات من الأدوار القاعدية وتوصلها إلى الأدوار القيادية[1].

ويرى ڤيبر بأن النظام البيروقراطي هو الذي يحدّد طبيعة العلاقات الاجتماعية بأنواعها العمودية والأفقية والرسميّة، وهو الذي يحدد الواجبات والحقوق لكل عامل أو موظف، إضافة إلى تحديد المسؤولية للأشخاص. كما أن البيروقراطية تعتمد على نظام التفاضل والتكامل الوظيفي في أداء أعمال مؤسساتها التي عادة ما تكون ذات أدوار وظيفيّة مختلفة. والخلاصة بأن البيروقراطية ظاهرة اجتماعية يعتمد وجودها وفاعليتها على مبدأ التعاون والتكامل بين الأدوار[2].

ويعتقد ڤيبر بأن التنظيم البيروقراطي هو سلطة عقلانية، وليس وجدانياً بل مبني على الالتزام والتخصص والكفاءة المهنية. ويتضمّن هيكله التنظيمي

---

(1) Weber, Max: The theory of social. of. cit, p. 339.

(2) Ibid. pp. 336 - 337.

نظماً ومراتب موضوعية وعقلانية متخصصة بعمل تقني وفكري وإداري محدّد. وهذا ما جعله يشبه البناء التنظيمي البيروقراطي بالتكنولوجي الحديث. كما «أن العقلانية تؤدي إلى نوع خاص من البيروقراطية، وتساعد على ظهور بناء له طابع معين حيث يحدّد نسق الأدوار والمعايير والجزاءات الواضحة بطبيعة الفعل الاجتماعي. وعندما يصل المجتمع إلى هذه المرحلة تتاح له فرصة أكبر للضبط الاجتماعي والسيطرة والتنظيم، وتسوده العلاقات اللاشخصية في مواجهة الحاجة إلى كفاءة اقتصادية تصاحب حركة التصنيع. وبعبارة أخرى فإنه يؤكد على أهمية الفعل الاجتماعي وارتباطه بأشكال الأبنية الاجتماعية التي تسود فيها هذه الأفعال، وذلك من خلال تحرك المجتمع من الحالة التقليدية إلى مرحلة التحديث أو العقلانية في أعقاب عملية التصنيع وتحت تأثير الأخلاق البروتستانتية»[1].

ولذلك يمكن اعتبار العلاقة بين السلطة والبيروقراطيّة كميكانيزمات تنظيمية للسيطرة والضبط بقضية النظام والفعل الاجتماعي.

خلاصة أفكار فيبر

1 ـ إن الفعل الاجتماعي له معنى عندما يضفي الفاعل معنى ذاتياً على الفعل، مراعياً في ذلك سلوك الآخرين، وموجهاً سلوكه اتجاهاً معيناً تبعاً لذلك.

2 ـ حدّد أربعة أنماط من الفعل الاجتماعي تبدأ من أدنى أشكال العقلانية وتنتهي بأقصى أشكال العقلانية. والأنماط الأربعة هي: الفعل الاجتماعي التقليدي (السلوك اليومي الذي تحدّده العادات والتقاليد) والفعل الاجتماعي الوجداني (السلوك الوجداني العاطفي)، والفعل العقلاني

(1) جراهام كينلوتش، تمهيد في النظرية الاجتماعية ـ تطورها ونماذجها الكبرى (القاهرة: دار المعرفة الجامعية 1995) ص 163.

الموجه نحو قيمة مطلقة (وهو الفعل الاجتماعي الذي تحدّده مجموعة من القيم والأخلاق)، والتوجيه العقلاني للفعل نحو نسق من الغايات الفرديّة.

3 - يعتبر البيروقراطية والسلطة عوامل أساسية في عملية الضبط والسيطرة في النظام الرأسمالي.

4 - يعتقد بأن «الدين» عنصر أساسي في ظهور الرأسمالية الحديثة وتطورها.

3 ـ تالكوت بارسونز
نظرية نسق الفعل الاجتماعي

ولد بارسونز (1902 ـ 1979) في ولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكيّة في عام 1902، ودرس علم الأحياء في كلية أمهرست، وتعرف على النزعة الوظيفية في الانثروبولوجيا أثناء دراسته في مدرسة الاقتصاد العليا بجامعة لندن، وتأثر بفكر ڤيبر أثناء دراسته في جامعة هارفرد. وعاش سنوات الكساد الاقتصادي، وسنوات الإزدهار والرخاء في مجتمع صناعي. وكانت أهم أعماله «بناء الفعل الاجتماعي» 1937، و«النسق الاجتماعي» 1951، و«نحو نظرية عامة في الفعل» 1951، و«أنساق المجتمعات الحديثة» عام 1971[1]. وقد تأثر بارسونز بدوركهايم وباريتو وڤيبر في موضوع «الفعل الاجتماعي» حيث نجد الكثير من أفكارهم متجسدة في بعض أفكاره الاجتماعيّة. رغم أنه قدم الشيء الكثير والجديد للنظرية الاجتماعيّة، بحيث أصبحت نظريته مثار نقاش وجدل في أوساط علماء الاجتماع. بل إنها أصبحت في منتصف الثمانينات أشهر نظرية اجتماعية في العالم. ظل بارسونز لسنوات طويلة يعتقد بضرورة وضع نظرية منهجية عامة للسلوك البشري، وعلى أن تكون نظرية علم الاجتماع وظيفيّة ـ بنائية. وضرورة أن يكون «الفعل الاجتماعي» هو الموضوع الأساسي في علم الاجتماع[2].

---

(1) المصدر السابق، ص 224.

(2) Parsons, T.: The Social system, The Free press, New York, 1951, p. 193.

ويشير بارسونز في أحد كتبه[1] إلى أن للفرد أهدافاً يريد تحقيقها ولديه وسائل عديدة من أجل الوصول إلى غاياته. وتكون هذه الوسائل شرطية بظروفها بقصد تحديد نوعها ودرجة تحركها. ومن أجل أن يحقق الفرد أهدافه فإنه ينبغي أن تخضع تصرفات الفرد للقواعد والأفكار والقيم، حيث أن الفعل الاجتماعي هو بمثابة سلوك إرادي.

ويمكن إيجاز أبرز أفكاره في نظرية الفعل الاجتماعي والنسق بالنقاط الآتية:

أولاً: تحليل الفعل الاجتماعي

ينطوي الإطار المرجعي «للفعل» في رأي بارسونز على فاعل وموقف، وتوجيه الفاعل إزاء الموقف، حيث أن محور نظريته هو توجيه الفاعل. ويمكننا التمييز بين عنصرين توجيهيين هما: التوجيهات الدافعية والتوجيهات القيمية.

فالتوجيهات الدّافعيّة التي تمدنا بالطاقة التي ستبذل في الفعل من خلال جوانب ثلاث هي:

1 ـ إدراكيّة: تقابل ما يدركه الفاعل في موقف معين، بالنظر إلى نسق استعداد الحاجات عنده.

2 ـ إنفعالية: يضع الفاعل أهمية عاطفيّة أو انفعاليّة على شيء معين.

3 ـ تقويميّة: يوزع الفاعل طاقته على الاهتمامات المختلفة التي يجب عليه أن يختار من بينها.

---

(1) Parsons, T.: The Structure of Social Action, The press, New York, 1949, p. 220.

أما التوجهات القيميّة، فهي تشير إلى مراعاة بعض المعايير أو المستويات الاجتماعية عن خلافات الاحتياجات التي تمثل بؤرة التوجيهات الدافعيّة. فهناك ثلاث طرق للتوجيهات القيميّة: إدراكية وتقديرية وأخلاقية[1]. وإذا كان الفاعل الاجتماعي (الفرد) يتفاعل مع القواعد (الآخرين) فإنه يتحدد بالمؤسسات الاجتماعية التي حمل معظم معاييرها وضوابطها وتوجيهاتها الدورية والنمطية والثقافية. وبهذا يكون دور المؤسسات هو محاولة تطبيع سلوك الفرد الاجتماعي بأنماطها وسماتها، ليصبح الفرد بعد ذلك داخلها، وفي أنساقها، ويكون ضمن توجهات منسقة ومنضبطة لا تخضع للرغبة الفردية أو لمشيئة شخص أو لتفكير خاص. وبمعنى آخر فإن الفرد في تفاعله مع الآخرين سوف يتصرف حسب المعايير والقيم والضوابط والأنماط الثقافية التي اكتسبها من المؤسسات الاجتماعية التي عاش فيها، وبذلك يظهر فعله منمطاً تنميطاً نسقياً يساعده على التفاعل مع الآخرين.

ويحدّد بارسونز أكثر من مؤسسة اجتماعيّة أبرزها:

1 ـ مؤسسة علائقية مهماتها تقديم التوقعات الدورية، وتعليم الفرد ما هو مطلوب منه من تصرف وتعامل مع الآخرين، وما هو ممنوع ومحرّم، وما هو مطلوب ومحبب. ويكون الاكتساب تلقائياً دون رفض أو تردد الفاعل الاجتماعي.

2 ـ مؤسسات منمطة، وهي التي تقنّن وتوجه فعل الفاعل الاجتماعي ضمن حدود ضوابط أخلاقيّة ودينيّة وعرفيّة غايتها توجيه الفاعل نحو أهداف انضباطية.

3 ـ مؤسسات ثقافية، وهي تقدم موجهات وضوابط رمزية وتعبيرات خاصة

---

(1) نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، ترجمة د. محمود عودة وآخرين (القاهرة: دار المعرفة الجامعيّة 1995) ص 356.

بثقافة المجتمع لتضع فعل الفاعل الاجتماعي في إطار ثقافي[1].

ثانياً: مدخل الفعل ومدخل النسق

على الرغم من أن بارسونز كان يعتقد بأهمية «الفعل الاجتماعي» كنظرية اجتماعية مهمة في علم الاجتماع، واعتبار الفعل هو سلوك إرادي. فإنه في منتصف الأربعينات بعد نشر مقالته «مكانة ومنظورات النظرية في علم الاجتماع» تحول مدخل الفعل عند بارسونز إلى مدخل النسق، حيث قلّل من شأن البعد الطوعي والإرادي. ففي الوقت الذين كانت «وحدة الفعل» نقطة الانطلاق الأساسيّة في كتابه «بناء الفعل الاجتماعي»، أصبح النسق «الأمبيريقي» و«البناء الاجتماعي» يمثلان نقطة البدء في كتاب مثل (النسق الاجتماعي) 1951، حيث أكد بارسونز على تكامليّة دافعيّة الفاعلين مع المستويات الثقافية المعيارية التي تعمل على تكامل نسق الفعل، بل يذهب أبعد من ذلك حين يربط الفاعل بالبناء الاجتماعي داخل إطار النسق الذي عرفه في ضوء منظور معادٍ للإرادية والطوعيّة[2].

وينقسم نسق الفعل، كما يقرّر بارسونز، إلى أجزاء أو أنساق فرعيّة صغيرة. وتمثل وحدة الفعل أو الفعل الواحد أصغر وحدة في نسق الفعل، ويشكل نسق الفعل تنظيماً للتفاعلات بين الفاعل والموقف، كما يبني الفعل الاجتماعي حول قواعد ومعايير وأنماط[3]. وفي رؤيته الجديدة، يمكن تحديد بعدين:

البعد الأول: أن الفاعل لا يتحدد بالبعد الإرادي أو الطوعي وإنما من

---

(1) د. معن خليل عمر، نظريات معاصرة في علم الاجتماع، مصدر سابق، ص 81 ـ 82.

(2) آلان سويتجوود، مصدر سابق، ص 288 ـ 289.

(3) المصدر السابق. ص 321 ـ 322.

خلال النسق الثقافي والاجتماعي. فالثقافة في مفهومه هي التي تحدّد أنساق التفاعل الاجتماعي، ولها تأثيراتها في الأنساق الاجتماعيّة والشخصيّة.

البعد الثاني: ناقش موضوع «الذات»، وأعطاها بعداً مهماً في نظريته. فاعتبر أن بناء الشخصيّة ما هو إلاّ تكوين من المقومات الثقافية والأخلاقيّة. وهذا يعني ضرورة إيجاد علاقة بين نمط الشخصية ونمط البناء الاجتماعي[1].

وبشكل عام، فإن بارسونز في تحليله للنسق، إنما يحاول أن يهتم بنمط فرعي للتكامل الجمعي ينتمي إلى النموذج الأخلاقي للتوجيه القيمي للفعل. وبعبارة أخرى فإن الطريقة التي استخدمها بارسونز للتوصل إلى العناصر المعياريّة الرئيسية في نسقه الاجتماعي يمكن اختصارها بالنقاط الآتية:[2]

1 ـ هناك ثلاثة جوانب للدافعيّة، الجانب المعرفي الذي يتعلق بمعرفة حقائق الموقف، والجانب النزوعي الذي يتعلق برغبة الفاعل في تحقيق أشياء معينة، والجانب التقييمي الذي يتصل بالحكم على عناصر الموقف في ضوء بعض القيم المقرّرة.

2 ـ أيّ فعل مكتمل يتضمن كافة العناصر السابقة يجب أن يحدث التباين في ضوء أولوية أحد العناصر التقييميّة أو أكثر. وقد يكون الفعل وسيلياً، وفي هذه الحالة تكون المستويات الأساسية المستخدمة في تلك التي ترتبط بالوسائل الصحيحة لمعرفة وفهم العالم.

3 ـ المستويات التقيمية التي قد تكون قواعد تطبق على مشكلات المعرفة، والنزوع أو تكامل الفعل، إما من خلال تكامل أفعال فرد واحد في ضوء

---

(1) Parsons, T.: Social structure and personality, the Free Press, Glencoe, N.J. 1964, p. 86.

(2) جون ركس، مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية، ترجمة د. محمد الجوهري وآخرون (الإسكندرية: منشأة المعارف، 1973) ص 164 ـ 165.

نسق الشخصيّة أو أفعال أكثر من فرد في ضوء نسق التفاعل.

ولكن كيف طوّر بارسونز فكرة وحدة الفعل الصغرى إلى مفهوم النسق الاجتماعي؟

يرتكز النسق الاجتماعي على معايير وقيم تشكل مع الفاعلين الآخرين جزءاً من بيئة الفاعلين، حيث يفترض بارسونز أن هدف كل فاعل هو الحصول على أقصى درجة من الإشباع. وإذا مادخل الفاعل مع الآخرين، وحصل من خلال التفاعل الإشباع فذلك مدعاة لتكرار التعامل، وسيصل الأمر بالفاعلين بعد حين بأن يتوقعوا استجابات معينة من بعضهم البعض. وبذلك ستتشكل بينهم قواعد ومعايير اجتماعية مع قيم متفق عليها، وتكون هذه القيم ضماناً لاستمرار تلك الاستجابات[1].

خلاصة أفكار بارسونز

(1) يعتقد بأن تواتر الفعل الاجتماعي يؤدي إلى ظهور النسق الاجتماعي أو النظام الاجتماعي الذي تجتمع عناصره من بعد ذلك في عملية التوافق أو التوحد المعياري أو الرمزي أو التوحد الثقافي.

(2) إن سلوك الفرد الاجتماعي لا يصدر عن فراغ ولا من عقله أو رغبته الذاتية بل من تفاعله مع الآخرين. حيث تلعب المؤسسة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة، الجامعة ووسائل الإعلام... الخ) الدور الأساسي في تقنين تصرفاته مع الآخرين، وحسب معاييرها وأنماطها وسماتها، ليخرج «الفعل» على شكل تصرف منتظم وملتزم وموجه.

---

(1) أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة د. محمد حسين علوم، عالم المعرفة، العدد 244 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب 1999) ص 71.

(3) درس بارسونز علاقة الذات الإنسانية أو الشخصية بالنسق الاجتماعي، حيث اعتبر الشخصيّة نسقاً للفعل تحدّد وتعمل على استقراره وثباته.

(4) يؤمن بثبات المجتمع واستمرار بنائه على المستويين الفلسفي المعياري والمستوى التنظيري. وهذه النظرة تجسد أيديولوجية الرأسمالية التي تدافع عن المجتمعات الرأسمالية ضد نظريات التغيير والصراع.

(5) ينظر بارسونز إلى «النسق» على أنه مجموعة من الوظائف، وفي النسق الواحد، تتجمع مجموعة من الوظائف فتؤلف نظماً. وهناك أربعة متطلبات وظيفيّة أساسية يجب على كل نسق اجتماعي أن يواجهها وهي المؤامة، تحقيق الأهداف، التكامل، والكمون.

(6) إن الفاعل لا يتحدد بالبعد الإرادي أو الطوعي وإنما من خلال النسق الثقافي والاجتماعي، حيث أن الثقافة هي التي تحدّد أنساق التفاعل الاجتماعي.

(7) ناقش بارسونز علاقة التنظيم بالبيئة الخارجية من خلال تحليل ميكانيزمات إعداد وتعبئة الموارد التي يحتاجها التنظيم لتحقيق أهدافه، رابطاً هذه الميكانيزمات بثلاث مجموعات من القرارات: قرارات سياسيّة وهي المتعلقة بالتنظيم، وقرارات توزيعيّة تهتم بتوزيع المسؤوليات بين الأشخاص والتنظيمات الفرعيّة، وتوزيع الموارد، ثم قرارات التنسيق التي تحافظ على تكامل التنظيم[1].

(8) يتألف البناء الاجتماعي من أربعة أنظمة هي النظام الثقافي الذي يتكون من الأفكار والمعتقدات والقيم والعادات والتقاليد والقوانين والتكنولوجيا والمعارف العلميّة، والنظام الاجتماعي الذي يتفاعل فيه عدد ضخم من

---

(1) سعيد عبد مرسي، الأيديولوجيا ونظرية التنظيم: مدخل نقدي (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995) ص 230 ـ 231.

الأشخاص الموجهين نحو موقف. أما النظام الثالث فهو نظام الشخصية، وهو عبارة عن نظام للصفات أو السمات الخاصة بالفرد مثل ميوله واتجاهاته واهتماماته وحاجاته. وهناك النظام الرابع وهو نظام الكائن العضوي الذي هو بمثابة متغيرات بيولوجية وفيزيقية للكائن العضوي مثل غرائزه ودوافعه. وقد استبدل بارسونز النظام الرابع (الكائن العضوي) بنظام الكائن السلوكي[1].

(1) محمد عوض عبد السلام، الفعل الاجتماعي عند تالكوت بارسونز: دراسة تحليلية نقدية (الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة، 1986) ص 38 ـ 62.

4 ـ خلاصة ونتائج

يمكن تلخيص الفصل بالنقاط الآتية:

أولاً: تاريخياً، يُرجع عدد من الباحثين جذور الفكر البنائي الوظيفي إلى أفكار أرسطو وأفلاطون وابن خلدون، ومن ثم في المماثلات بين المجتمع والكائنات العضوية، وبعدها في أعمال الأنثروبولوجيين البريطانيين، حيث الاهتمام بالنزعة البنائية الوظيفية. وباختصار فإن الاتجاه البنائي الوظيفي ظهر كرد فعل أو نقد للاتجاه التطوري الخالص.

ثانياً: تقوم فكرة النظرية البنائية الوظيفية على أساس أن تطور المجتمع الإنساني هو ظاهرة طبيعيّة متطورة، وهو نسق يتكون من مجموعة أجزاء متساندة متكاملة سواء من وجهة النظر الاجتماعية أو الطبيعيّة. وبمعنى آخر فإن هذا الاتجاه يؤكد على أن البناء الاجتماعي يتكون من مجموعة أنظمة مترابطة بنائياً ووظيفياً، حيث يتكون النظام من مجموعة أنساق ويتكون النسق من مجموعة أنماط. وهذا الاتجاه يركز على التوازن الاجتماعي وثبات المجتمع.

ثالثاً: إهتم ڤيبر بفهم وتفسير الفعل الاجتماعي على مستوى الفرد والجماعة الصغيرة باعتبارها الأساس الذي يقوم عليه المجتمع. ووضع مكان الفعل على متصل أحد طرفيه اللاعقلانيّة وعلى الطرف الآخر العقلانيّة العلميّة. كما حلّل ڤيبر البيئة الاجتماعية والتطور الاجتماعي وتحول من دراسة الفعل التقليدي مروراً بالفعل الوجداني والأيديولوجي وانتهاء بالفعل الفردي الأكثر عقلانية. كما درس المجتمع الصناعي، وتوصل إلى حقيقة علمية مفادها بأن المجتمع الرأسمالي يتمتع بمستوى من العقلانية أسماها المجتمع البيروقراطي وأن الدين هو الجوهر الأساسي في قيام النظام الرأسمالي وتطوره.

رابعاً: إفترض بارسونز فكرة أن النسق الاجتماعي يوجد قائماً بذاته، أي أن المجتمع يمتلك حقيقة مستقلة عن وجود الأفراد كنسق للتفاعل، وأن الأنساق الجزئية (البناء الاجتماعي) في المجتمع تعبّر عن عدد من الوظائف الرئيسية (البناء يمثل الفعل) أو عدد من مشكلات النسق الأساسيّة. فالنسق له وظيفة تحقيق التكامل بين المعايير. كما يرى بأن المحور الأساسي للمجتمع يميل إلى تحقيق التوازن أو المحافظة على الاتزان بين جميع أعضاء الكائن / الحيّ.

خامساً: هناك الكثير من الانتقادات التي وجهت إلى النظرية البنائية الوظيفية. يمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

1 ـ رغم أن النظرية البنائية الوظيفية في هيكلها المعاصر تبدو كنظرية تؤمن بالتطور، فإنها برأي الكثير من العلماء تميل إلى الإستاتيكية (الجمود)، لعدم إيمانها بعملية التغير الاجتماعي.

2 ـ أغفلت النظرية الوظيفية المقدمات الجوهرية التي أدت إلى وجود النظام الاجتماعي حيث تركتها بدون تفسير، حيث الفكرة الجامدة التي تدعو إلى قبول النظام الاجتماعي كمسلمات لا تخضع للنقاش أو الطعن.

3 ـ يعتقد الكثير من علماء الاجتماع بأن هذه النظرية تتميز بالغموض والانفصال عن الواقع والنزعة المحافظة. وذلك من خلال عدم إيمانها بالتغير الاجتماعي بقصد إبقاء الوضع الراهن كما هو.

4 ـ تأكيد النظرية البنائية الوظيفية على محاولة نفي الصراع الاجتماعي وخاصة الصراع الطبقي، وما يترتب عليه من آثار ومضامين اجتماعية وثقافية على الفرد والمجتمع، حيث تقوم فكرة النظرية على تحديد مفهوم تطور المجتمع بشكل تدريجي ككائن عضوي اجتماعي ذي أنساق وأبنية ورموز ومعان ثقافية.

5 - التعصب الفكري لهذه النظرية عندما استعملت السلوك القيمي والعرفي والعقيدي للبرهنة على شرعيّة وسلامة بعض الأعراف والعقائد الاجتماعية، وعلى حتمية استمرارها وعدم تغييرها. ولم تكن علميّة، عندما أغفلت الجوانب السلبية في الأعراف والقيم الاجتماعيّة وركزت على جوانبها الإيجابيّة فقط.

6 - الوظيفيّة لم تستطع أن تجيب بشكل علمي وشمولي عن مشكلات الإنسان في العالم، وعمليات التغيير والصراع الذي حدثت في المجتمعات الإنسانية، لأنها كانت متعصبة في توجهاتها العلميّة والأيديولوجيّة، خاصة في التزامها بنظرية التكامل الاجتماعي والاستقرار.

نماذج أسئلة الفصل الرابع

س1 : وضح بالتفصيل الجذور الفكرية للاتجاه البنائي الوظيفي، مبيناً بنقاط أهم أفكارها.

س2 : حدّد الفروقات الفكرية بين ماكس ڤيبر وأوجست كونت ودوركهايم وماركس، مبيناً تأثير هؤلاء العلماء على فكر ڤيبر الاجتماعي.

س3 : ناقش أفكار ڤيبر من خلال موضوعه الرئيسي «الفعل الاجتماعي». موضحاً مفهومه للفعل ونماذجه.

س4 : إشرح بالتفصيل التنظيم الاجتماعي عند ماكس ڤيبر، موضحاً بالتحليل علاقة السلطة والبيروقراطيّة.

س5 : ناقش تالكوت بارسونز في نظريته الاجتماعية موضوع الفعل الاجتماعي كما فعل ڤيبر. إشرح مفهومه للفعل ودور المؤسسات الاجتماعيّة في هذه العملية.

س6 : ماذا يقصد بارسونز بالنسق الاجتماعي. وما هي الطرق الرئيسية التي استخدمها للتوصل إلى العناصر المعيارية في فهمه للنسق الاجتماعي،

س7 : أنقد النظرية البنائية الوظيفيّة، مبيناً رأيك في صلاحيّة هذه النظرية في مجتمعاتنا.